امر ربي مع ان المهاجرة توجب الجهة اجيب بان هذا القول ليس في الاخلاص
كقولنا الي ربي لان الملك اذا اصدر منه امر برواح الاخيار بتران واحدا منهم
سار الي ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الي حيث امره الملك
ولكن لا لاجلها فالوجهة هنا قال مهاجر الي ربي يعني توجهي الي الجهة
المامور بالهجرة اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب سبحانه علل
ذلك بما يسليه عن فراق ارضه واهل وده من ذوي رحمه واسبابه
بقوله انه هو اي وحده العزيز اي فهو جدير باعزاز من انقطع اليه
الحكيم فهو لا يدع احدا صفته حكمته من التعرض له بالاذلال بفعل
او مقال ولما كان التقدير فاعززناه بما ظن بنا عطف عليه قوله
ووهبنا له اي بعظمتنا وقدرتنا شكرا على هجرته اسحاق من زوجته
سارة رضي الله تعالى عنها التي جمعت الى العقم في شبابها اليأس في
كبرها ويعقوب من ولدها اسحاق عليهما السلام فان قيل لم لم يذكر
اسماعيل عليه السلام وذكر اسحاق وعقبه اجيب بان هذه السورة
لما كان السياق فيها للامتحان وكان ابراهيم عليه السلام قد ابتلي
في اسماعيل بنزاع قدمه امه ووضعهما في بقيعة من الارض لا انيس
بها لم يذكره نصا في سياق الامتنان واتى باسحاق لانه لم يبتل فيه
بشيء من ذلك ولان الامتنان به لكون امه عجوزا عقيما اكبر واعظم
لانها اعجب وذكر اسماعيل تلويحا في قوله تعالى وجعلنا اي بعظمتنا
وحكمتنا في ذريته من ولديه اسحاق واسماعيل عليهما السلام النبوة
فلم يكن بعده اجنبي عنه بل جميع الانبياء من ذرية اسحاق الا نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسماعيل قال بعض العلماء
قيل ان الله تعالى جعل في ذريته النبوة في ولد اسحاق اكثر من
بان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الى يوم القيامة فانتهى
والناس

والناس اجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم
فضائل جمة وجاؤا تترا واحدا بعد واحد ومجموعين في عصر واحد كلهم
من ذرية اسحاق عليه السلام وفي القسم الثاني من الزمان اخرج من
ذرية ولده اسماعيل عليه السلام واحدا اجتمع فيه ما كان فيهم وارسله
الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيين وقد
دام الخلق على دين اولاد اسحاق اكثر من اربعة الاف سنة ولا
يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسماعيل ذلك المقدار والكتاب فلم
ينزل كتاب الا على اولاده فان قيل لم افرد الكتاب مع انها اربعة التوراة
والانجيل والزبور والفرقان اجيب بانه اراد به الجنس ليتناول
الكتب الاربعة لانه لا شيء يستحق ان يكتب الا ما انزل فيها او كان
راجعا اليها ولو جمع لم يفد هذا المعنى واتيناه على هجرته في الدنيا بما
خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد العيش
وكثرة الولد الخدم في الشيخوخة وكثرة النسل والثناء الحسن والمحبة
من جميع الخلق وغير ذلك قال الرازي وفي الاية لطيفة وهي ان الله
تعالى بدل جميع احوال ابراهيم عليه السلام في الدنيا باضدادها
لما اراد القوم تعذيبه بالنار وكان وحيدا فريدا فبدل الله وحدته
بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه واقاربه القريبة
ضالين مضلين من جملتهم آزر بدل الله اقاربه باقارب مهتدين
هادين وهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة والكتاب وكان اولا
لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة في الدنيا آتاه الله تعالى من
المال والجاه حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه
كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق الذهب واما الجاه فقال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)